"خلف القناع": مساحة آمنة للكشف والبوح

في الأردن، طالما واجهت النقاشات حول الصحة الجنسية والإنجابية وحقوقها (SRHR) بين الشباب عوائق كبيرة، أبرزها الوصمة المجتمعية، والخجل، والمحرمات الثقافية، وغياب المساحات الآمنة للحوار. وقد كانت هذه التحديات أكثر حدة بالنسبة للنساء، والشباب، والأشخاص ذوي الإعاقة، الذين غالبًا ما يصعب عليهم الوصول إلى معلومات دقيقة عن حقوق الصحة الجنسية والإنجابية، أو التعبير بحرية عن مخاوفهم وهمومهم.

وللرد على هذه الفجوة، أطلقت **مساحة ليوان الشبابية** إستراتيجية مبتكرة تحت عنوان **"خلف القناع"**، تهدف إلى تمكين الشباب من خلال خلق بيئة تُشجع على الحوارات الصريحة حول قضايا الصحة الجنسية والإنجابية. وقد سمح هذا النهج للمشاركين بارتداء أقنعة أثناء الجلسات التوعوية، كرمز للخصوصية والسرية، ما أتاح لهم الشعور بالأمان والانفتاح. هذه الأداة البسيطة لكن الثورية أسست لمساحة شاملة وآمنة، شجعت على مناقشات صادقة وشجاعة حول مواضيع حساسة.

من خلال إزالة الخوف من الحكم المجتمعي، تمكن المشاركون من استكشاف تجاربهم الشخصية والانخراط في حوارات عميقة حول قضايا جوهرية مثل الصحة الإنجابية، والعلاقات العاطفية، والعنف القائم على النوع الاجتماعي. اختارت ليوان هذا النهج تحديدًا لأنه يُمكن من قول ما لا يُقال. فالقناع أصبح درعًا ومدخلًا في آن، ومساحة لمواجهة الخوف من ماذا تقول ولمن.

في عام 2023، استهدفت ليوان فئة الشباب من عمر 18 إلى 30 عامًا، بما في ذلك الأشخاص ذوي الإعاقة، وعقدت 11 جلسة في عمّان بمشاركة 148 شابًا وشابة من خلفيات متنوعة. واستُكملت المبادرة عام 2024 بخمس جلسات إضافية شارك فيها 82 مشاركًا. تضمنت كل جلسة نقاشًا ميسرًا حول مواضيع الصحة الجنسية والإنجابية، تلاه قسم خاص للأسئلة والأجوبة المجهولة الهوية، حيث تولى الميسّرون أو الخبراء المتخصصون الرد على استفسارات المشاركين. وقد أظهرت الاستطلاعات التي أُجريت قبل وبعد الجلسات تحسنًا ملحوظًا في معرفة المشاركين ووعيهم. وبعيدًا عن الأرقام، فإن القصص الفردية تعكس الأثر العميق للمبادرة.

سلمى، شابة شاركت في إحدى الجلسات، استلهمت التجربة لزيارة طبيبة نسائية لأول مرة، بعد أن كانت تتجاهل مشاكل صحية لفترة طويلة.

Open my eyes

قالت: "لم أتوقع أن جلسة توعوية واحدة مثل 'خلف القناع' ستكون نقطة تحوّل في حياتي. فقد جعلتني أدرك ماذا يعني العنف القائم على النوع الاجتماعي، وحقوق الصحة الجنسية والإنجابية، وجعلتني أقرر بدء مسيرتي في المناصرة. بدأت كمتطوعة في حملة 'كفى'، حيث تعلّمت قوة الكلمة والعمل الجماعي. ومع إطلاق حملة 'حان وقت الحديث'، تولّيت مسؤولية إدارة المحتوى الرقمي، وإنتاج مواد توعوية، ومشاركة قصص واقعية، وبناء مساحة للحوار والانخراط. اليوم، وبعد هذه الرحلة، أؤمن أكثر من أي وقت مضى بأن الشباب قادرون على إحداث تغيير حقيقي، بأصواتهم، وأفكارهم، وشغفهم".

أما **أحمد منينة**، المدافع الكفيف عن الحقوق، فقد وجد في الجلسات لحظة تحول شخصية. واجه تحدياته الخاصة وتعرّف إلى ما يواجهه الآخرون من الأشخاص ذوي الإعاقة. وبفضل هذه التجربة، نظّم لاحقًا جلسة عبر "زووم" مع 40 شابًا وشابة من المكفوفين لرفع الوعي بمخاطر الاستغلال العاطفي والجنسي عبر الإنترنت. وتوسّعت جهوده لاحقًا بإنتاج محتوى مؤثر، شمل حلقات فيديو وبودكاست، لكسر الصور النمطية وتعزيز الوعي بالصحة الجنسية والإنجابية.

أما **نغم**، فساهمت بشكل بارز في إعداد ورقة سياسات خضراء حول إجازة الأبوة، وربطتها بقضايا الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية وأدوار النوع الاجتماعي.

قالت: "أضاف المشروع لي الكثير على المستوى الثقافي والشخصي، وطوّر من مهاراتي البحثية، والتواصل، والعمل الجماعي، بالإضافة إلى إدارة الوقت والنفس من خلال تعلّم تنظيم المهام وإنجازها. كان مشروعًا مثاليًا، وأتمنى أن أشارك في تجربة مشابهة قريبًا".

وقد تم إطلاق ورقة السياسات الخضراء في فعالية عامة عام 2024 بعد نقاشات مع خبراء، وقدّمت توصيات قائمة على الأدلة لصنّاع القرار، تدعو إلى تمديد إجازة الأبوة لتعزيز تقاسم مسؤوليات الرعاية وكسر الأنماط التقليدية المرتبطة بالنوع الاجتماعي.

لقد لاقت منهجية "خلف القناع"، التي تم تقديمها ضمن إطار مشروع نحن نقود، اهتمامًا واسعًا من منظمات أخرى، مثل مخيم النصر للاجئين ومنظمات المجتمع المحلي، والتي تبنت هذا الأسلوب لتيسير النقاش حول الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية. وبناءً على هذا النجاح، تخطط ليوان لتوسيع المبادرة من خلال تدريب المزيد من منظمات المجتمع المحلي على تنفيذ النموذج بفعالية.

وقد حظيت جهود ليوان بتقدير دولي، ونالت جائزة الابتكار من برنامج نحن نقود على مستوى عالمي وأظهرت المبادرة كيف يمكن للمساحات الآمنة والأساليب الإبداعية تمكين الشباب، وتعزيز مهارات القيادة، وتوسيع جهود المناصرة.

كما لعب التعاون مع صنّاع القرار والمسؤولين الحكوميين دورًا محوريًا في دفع هذه الأهداف إلى الأمام، كما يتضح من إطلاق ورقة بحثية حول إجازة الأبوة، التي تُعد نموذجًا حيًا لتأثير جهود الشباب على السياسات العامة. وأكد عمل ليوان أيضًا على أهمية بناء علاقات مع صناع القرار، مما شجّع مزيدًا من الشباب على الانخراط في العمل المجتمعي والمناصرة.

وتُعد الورقة البحثية حول إجازة الأبوة مصدر فخر خاص، إذ تُظهر النتائج الملموسة لبحوث يقودها الشباب. فقد درست أثر إجازة الأبوة من خلال مراجعة شاملة للبيانات الأولية والثانوية، بما في ذلك تحليل التشريعات ذات الصلة وأفضل الممارسات الدولية. وقدّمت الورقة حُججًا واضحة لصنّاع القرار تدعو إلى تعديل القوانين الحالية لتمكين الآباء من لعب دور نشط في رعاية أطفالهم، وتحدي الأدوار النمطية للجنسين.

كما ألهمت الورقة البحثية أنشطة شبابية إضافية داخل ليوان، مثل المحاكمات الصورية وورشات المناظرة.

تُبرز جهود ليوان الأهمية الحاسمة لخلق مساحات آمنة، حيث يمكن للشباب التعلم والمشاركة والمناصرة دون خوف. ومن خلال كسر الوصمة وتعزيز الحوار المفتوح، يقدم نهج "خلف القناع" نموذجًا قويًا لمعالجة قضايا الصحة الجنسية والإنجابية وتمكين الأصوات المهمّشة.

وفي حديثها عن تجربتها، قالت **لمى**: "كان مشروع نحن نقود واحدًا من أفضل تجارب التطوع التي شاركت فيها. ساعدني على تطوير مهارات حل المشكلات، والتفكير الإبداعي، والعمل الجماعي. تولّيت دور المرشدة وقائدة الفريق، وطبقنا المهام بطريقتنا الخاصة، وشاركت تجربتي مع الآخرين وتعلمت منهم. كما أعاد المشروع إحياء مهاراتي البحثية، وساعدني على بناء علاقات قوية مع منسقي ليوان والمشاركين. أؤمن أن عملنا لن يتوقف عند إصدار ورقة النقاش الخضراء، بل سنواصل التطوع لتحديثها وتطويرها إلى ورقة سياسات تُعتمد من قبل الحكومة".